الفصل الخامس
معركة النهروان (38هـ)

1 – سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ على الخوارج أن لا يسفكوا دماً، ولا يروعوا آمناً، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظراً لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعوراً يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ ؟. قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي ﷺ ؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي ﷺ ذكر فتنة فقال: **«القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»**، فأخذوه وسرية له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك نعل اندفر بالماء حتى توارى عنهم [1]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصحب قوماً هم أبغض إلى صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلت [2]. أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى أن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا علياً [3].

---

(1) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (205/1، 206).
(2) مصنف ابن أبي شيبة (310/15، 311) بسند صحيح.
(3) مجمع الزوائد (237/6، 238) إسناده صحيح.

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة [1]، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام 38هـ [2]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان [3].

2 – تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج أثرها لدى الصحابة واتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»**، لو يعلم الجيش الذي يصيبونه ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ ولا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله [4].

وقال رضى الله عنه فى يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين... وهؤلاء المارقون[5].

وعسكر الجيش فى مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (308/15، 309) بسند صحيح.
(2) أنساب الأشراف (63/2) بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص 322.
(3) تاريخ بغداد (205/1، 206).
(4) مسلم (748، 749).
(5) السنة لابن أبى عاصم، تحقيق الألبانى - رحمه الله.

يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل على رضى الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضى الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا [1]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر [2]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل فى كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال [3]، فجعل على ميمنته حجر بن عدى، وعلى الميسرة شبث بن ربعى، ومعقل بن قيس الرياحى، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى، وعلى أهل المدينة - وكانوا سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علىّ أبا أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبى، فرجعوا على علىّ وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى السنبيسى، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدى، فوقفوا مقاتلين لعلى وأصحابه [4].

3 – نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى على، وقدم على بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم على، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن

(1) السنن الكبرى للبيهقى 8/ 197، خلافة على، عبد الحميد ص 324.
(2) مصنف ابن أبى شيبة (15 / 325، 327).
(3) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد ص 324.
(4) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص 425، مختصر من البداية والنهاية.

سخبرة السلمى [1]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليّا [2].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبى، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن فى اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب على رضى الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجى: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدرى إلى الجنة أم إلى النار [3]، فقال رجل من بنى سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعى: إنما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبى أيوب الأنصارى، وجعل الناس يتسللون[4].
وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة 9 / 2 / 38هـ[5]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى فى صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تماماً فى جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقتلى أصحاب على فيما رواه مسلم فى صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط [6].

وفى رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب على اثنا عشر أو ثلاثة عشر [7].

وجاء فى رواية صحيحة أن أبا مجلز [8]قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش على إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبى برزة [9]، فاسأله فإنه قد شهد ذلك [10]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً [11]، ويذكر المسعودى أن عدداً

(1) تاريخ الخلافة الراشدة، ص 425.
(2) تاريخ الخلافة الراشدة، ص 425.
(3) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص 21، خلافة على، ص 325.
(4) المصدر نفسه، ص 21، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص 325.
(5) أنساب الأشراف (2 / 63) بسند فيه مجهول.
(6) مسلم (2 / 748).
(7) مصنف ابن أبى شيبة (5 / 311)، تاريخ خليفة ص 197 بسند حسن.
(8) لاحق بن حميد السدوسى البصرى ثقة من الطبقة الثالثة.
(9) نهنلة بن عبيد الأسلمى صحابى مشهور بكنيته، مات سنة 65 هـ.
(10) المعرفة والتاريخ (3 / 315)، تاريخ بغداد (1 / 182).
(11) أخبار الخوارج من الكامل ص 338.

يسيراً لا يتجاوز العشرة، فروا بعد الهزيمة الساحقة [1].

4 - ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش على رضى الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة فى تحديد شخصية ذى الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوى، وقد جاء فى الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة [2]، وفى رواية حبشى، وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة فهى من المنكب إلى العضد فقط، أى بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدى وعليها شعيرات بيض وعضده ليست ثابتة كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أى تتحرك تذهب وتجىء، أما مخرج اليد أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد [3]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدى [4]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور فى الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضى الله عنه، وقد فر إثر معركة الجمل الصغرى التى قتل فيها الزبير وطلحة رضى الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[5]، إلا أنه قد ورد فى رواية أن اسمه (حرقوس) أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء فى رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال على: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك، فقال على: ابن من [6]؟ فلم يعرف أحد أباه.

وقد ورد فى رواية صححها الطبرى أن اسمه نافع ذو الثدية كما جاء عند ابن أبى شيبة وأبى داود، إلا أن طريقهما واحد، فيعد ما جاء فى المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد [7]، كان على رضى الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذى الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر على رضى

(1) خلافة على بن أبى طالب ص 329، تاريخ خليفة ص 197.
(2) مصنف عبد الرزاق (10 / 146).
(3) النهاية فى غريب الحديث (1 / 12، 13) فتح البارى (12 / 294، 295).
(4) الملل والنحل (1 / 115).
(5) فتح البارى (12 / 292)، الإصابة (1 / 139).
(6) الفتح الربانى على مسند الإمام أحمد (23 / 155) بإسناد حسن، والبداية والنهاية (7 / 294، 295).
(7) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص 334.

الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن علياً رضى الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علىّ وأصحابه وجد أمير المؤمنين على جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعاً مما يلى الأرض، فكبر علىّ ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا [1].

5 – معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين على رضى الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره فى جنده أن لا يتبعوا مدبراً، أو يذففوا على جريح، أو يمثلوا بقتيل. يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبى وائل - أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع على حروبه: لم يسب على يوم الجمل ولا يوم النهروان [2]وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها. وهذه الرواية لها طرق عدة[3]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج فى الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين على رضى الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة، وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء [4].

وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبى عن هذه الآية{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾} [الكهف: 103، 104] أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ،

(1) مصنف ابن أبى شيبة (15 / 317، 319) بسند صحيح.
(2) السنن الكبرى للبيهقى (8 / 182) بسند صحيح.
(3) التلخيص الحبير (4 / 47).
(4) فتح البارى (12 / 300، 301)، نيل الأوطار (8 / 182).

وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية{وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾} [البقرة: 26، 27] وكان سعد يسميهم الفاسقين (1)، وفى رواية عن سعد رضى الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: **«هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم»** (2).

وقد سئل على رضى الله عنه أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفى رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفى رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا (3)، كما أنه رضى الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً (4).

والملاحظ فى قتال أمير المؤمنين على رضى الله عنه للخوارج وقتاله فى الجمل وصفين، أن علياً رضى الله عنه ندم وحزن على قتاله فى وقعة الجمل وصفين، أما فى قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه كراهته والندم عليه ما ظهر (5)

* * *

(1) صحيح البخارى، فتح البارى (5 / 842).
(2) مصنف ابن أبى شيبة (15 / 324، 325)، الاعتصام للشاطبى (1 / 62).
(3) مصنف عبد الرزاق (10 / 150)، مصنف ابن أبى شيبة (15 / 332) بسند صحيح.
(4) مصنف ابن أبى شيبة (15 / 320)، فتح البارى (12 / 301) له سند صحيح عند الطبرى.
(5) مجموع الفتاوى (28 / 516).